﴿۞قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١﴾ [الأنعام: 151]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إظهارُ كذبِ المشركين بتفصيلِ ما حرَّمهُ اللهُ

اعلم أنَّ اللهَ تعالى لمَّا بيَّن فسادَ ما يقولُ الكفَّارُ: إنَّ اللهَ حرَّم علينا كذا وكذا؛ أردفَهُ ببيان الأشياءِ الَّتي حرمها عليهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَعَالَوْاْ﴾: أصلهُ أن يُدعى الإنسانُ إلى مكانٍ مرتفعٍ، ثمَّ جُعِل للدُّعاء إلى كلِّ مكان، فأصلهُ من العلوِّ، وهو ارتفاعُ المنزلة، فكأنَّه دعا إلى ما فيهِ رفعةٌ، كقولِك: اِفعَلْ كذا غيرَ صاغرٍ؛ تشريفًا للمقول له، بأن يقوله من كان في علوٍّ لمن كان في سُفل، وهو أمرٌ من التَّعالي، ثم اتَّسع فيه بالتعميم[2].

2) ﴿أَتْلُ﴾: الاتِّباع، يقال: تَلَوتُهُ؛ إذا تَبِعْتُهُ، ومنه: تلاوةُ القرآنِ؛ لأنَّه يُتبع في قراءتهِ آية بعدَ آيةٍ، وقال الرَّاغب: والتِّلاوة تختصُّ باتِّباع كتبِ اللهِ المنزَّلةِ، تارةً بالقرآن، وتارةً بالارتسامِ لما فيها من أمرٍ ونهيٍ وترغيبٍ وترهيبٍ، أو ما يتوهَّمُ فيه ذلك، وهو أخصُّ من القراءةِ، فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً، ولا يقال: تلوْتُ رُقعَتَكَ، وإنَّما يُقال في القرآن في شيءٍ إذا قرأتَهُ؛ وجبَ عليك اتِّباعه، وأصلُ التِّلاوةِ من تتبُّعِ الكلامِ المكتوب عند القراءةِ، أي:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/177، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 8/503.
(2) الرّاغب، المفردات: (علا)، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/188.

اتِّباعُهُ كلمةً كلمة، فهذا يعني: القراءةَ من مكتوب، وعليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: 48]، فهذا كالصَّريحِ في معنى قراءةِ المكتوب، ثم عُمِّم في القراءةِ عن ظهرِ القلبِ، أي: من غير مكتوبٍ(1).

3) ﴿إِمْلَٰقٍ﴾: أصلُ الإِمْلاقِ: إتلافُ المَالِ حَتَّى يُحْوِجَ، يُقال: أَمْلَقَ الرَّجُلُ، فهو مُملِقٌ؛ إذا افتَقَر، وقيل: اشتقاقُه من (المَلَقات)، وهي الحجارةُ العِظامُ الملسُ السُّود، وأملقَ: لم يبقَ تحتَ يدِهِ إلَّا الجبالُ والصُّخورُ العظامُ الَّتي لا يَقدِرُ أن يحصِّلَ منها شيئًا، وأصلُ مادَّة (ملق) يَدُلُّ على تَجَرُّدٍ في الشَّيءِ ولِينٍ، والمعنى هنا: فَقْرٍ وجُوعٍ(2).

4) ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾: الرِّزقُ بِكَسْرِ الرَّاءِ: كُلُّ ما يُنتفعُ به مِنْ مالٍ ونَحوِهِ، والجَمْعُ: أَرزاقٌ، والرَّزقُ بِفَتْحِ الرَّاءِ: العَطَاءُ الدَّائِمُ، والرَّازِقُ: المُعْطِي وهو اللهُ، وَكُلُّ ما يَصِلُ إلى الجَوْفِ ويُتَغذَّى بِهِ فَهُوَ رِزْقٌ، ومِن مَعاني الرِّزْقِ أَيْضًا: الكَسْبُ، الهِبَةُ، الصَّدَقَةُ(3).

5) ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: جمعُ فاحِشَةٍ: وهي الفعْلَةُ المتناهِيَةُ في القُبْحِ والشَّناعَةِ، والفَحْشاءُ: ما عظُم قُبْحُه وفَحُشَ مِن الأفعالِ والأقوالِ، وأصلُ الفُحْشِ: كلُّ شيءٍ مُستقْبَحٌ ومُسْتَشْنَعٌ من قولٍ أو فِعْلٍ، ومِن مَعانِيها: الزِّنى(4).

6) ﴿ظَهَرَ﴾: الظَّاهِرُ: الواضِحُ البَيِّنُ، يُقال: ظَهَرَ الشَّيْءُ، يَظْهَرُ، ظُهورًا؛ إذا وَضُحَ وبانَ، ويأْتي بِمعنى البارِزِ والمُنْكَشِفِ، فتَقولُ: ظَهَرَ لي رَأْيٌ، أي: انْكَشَفَ بعد خَفائِهِ، والظُّهورُ: الوُضوحُ والانْكِشافُ(5).

7) ﴿بَطَنَ﴾: البَطْنُ خِلافُ الظَّهْرِ، وبَاطِنُ الأَمرِ دِخْلَتُهُ، خلافُ ظاهِرِهِ، ويُقال لكلِّ غامضٍ: بَطْنٌ، ولكلِّ ظاهرٍ: ظَهرٌ، وقوله: ﴿وَمَا بَطَنَ﴾، أي: ما ارتكبَ سِرًّا، وفي الخَفاء؛ حتَّى لا يَراهُ النَّاس، أو يَسمَعُوا بِهِ(6).

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (تلو).
(2) السجستاني، غريب القرآن: 1/361، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (ملق)، والكفوي، الكليات، ص: 701.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رزق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، والمحكم، وابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (فحش).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر، وابن منظور، لسان العرب: (ظهر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (بطن).

8) ﴿وَصَّىٰكُم﴾: أَصْلُ الكَلِمَةِ يَدُلُّ على وَصْلِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، ومنه سُمِّيَت وَصِيَّةً؛ لأنَّها وَصْلٌ لِما كان في الحَياةِ بعد المَوْتِ، يُقال: أَوْصَى، يُوصِي، إيصاءً، ووَصَّى، يُوصِي، تَوْصِيَةً: إذا عَهِدَ إلَيْه، وأَوْصَيْتُ إليه بِمالٍ: جَعَلْتُهُ لَهُ، والوِصايةُ: فِعلُ الوَصِيِّ، والجَمْعُ: وَصايا[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ المحرَّماتِ الشَّاملةِ من الأقوالِ والأفعالِ

هذه الآيةُ الكريمةُ أولى الوصايا العشرِ الَّتي جاء الخبرُ بفضلهنَّ، فقد رُوي عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: مَن سرَّهُ أن ينظرَ إلى وصيَّة محمَّدٍ ﷺ الَّتي عليها خاتمه، فليقرأ هؤلاءِ الآياتِ ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ﴾ - إلى قوله - ﴿تَتَّقُونَ﴾[2]، وعن عبادةَ بنِ الصّامتِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكم يبايعني على هؤلاءِ الآيَاتِ الثَّلاثِ؟» ثُمَّ تَلَا: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ﴾ حتى فرغ من ثلاثِ آياتٍ، ثم قال: «ومن وفَّى بهنَّ؛ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنِ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا، فأدركه اللهُ في الدُّنْيَا كَانَتْ عُقُوبَتَهُ، وَمَنْ أَخَّرَهُ إِلَى الْآخِرَةِ، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شاء آخذه، وإن شاء عفا عنه»[3].

يأْمُرُ اللهُ نَبيَّه محمَّدًا ﷺ - في هذه الآية - أن يَطْلُبَ إلى هؤلاءِ المُشركينَ أن يُقْبِلُوا إليه؛ ليُخْبِرَهم بما حَرَّمَه اللهُ عليهم يقينًا، وليس ظنًّا كقَوْلِهم على اللهِ الكَذِبَ، فأَوْصاهم: ألَّا يُشْرِكوا به شيئًا، وأنْ يُحْسِنُوا إلى الوالِدَينِ، وألَّا يَقْتُلوا أولادَهم بسبَبِ الفَقْرِ، كما كان يفعل أهلُ الجاهليَّة، فإنَّ اللهَ هو من يَرْزُقُهم، ويرزُقُ أَوْلادَهم، ونهاهم عَنْ قِربانِ الفَواحِشِ ما كان منها علانِيَةً أو كان

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (وصى).

(2) الترمذي، السنن: 5/264، والحديث رقم: (3070)، والطبراني، المعجم الكبير: 10/114 - 115، والحديث رقم: (10060).

(3) أخرجه الحاكم، المستدرك: 2/348، والحديث رقم: (3240)، وقال: صحيح الإسناد، وابن جرير في جامع البيان: 9/667، ودون قوله: "ثلاث آيات"، وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 5/1414.

سِرًّا، وألَّا يَقْتُلوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللّٰهُ عليهم قَتْلَها إلَّا بالطَّريقِ الحَقِّ الموجِبِ لقَتْلِها شَرْعًا؛ ذلك وصَّاهم به اللّٰهُ تعالى، لعَلَّهُم يَعْقِلونَ أوامره ونواهيه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ فصلِ جملةِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾:

الانتقالُ من إبطالِ زعمِهم بتحريمِ أمورٍ إلى دعوتِهم لمعرفةِ المُحرَّمات

الجملةُ الكريمةُ استئنافٌ ابتدائيٌّ للانتقالِ من إبطالِ تحريمِ ما ادعوا تحريمَهُ من لحومِ الأنعام، إلى دعوتِهم لمعرفةِ المحرَّماتِ؛ والمناسبةُ لهذا الانتقالِ ظاهرةٌ، فالمقامُ مقامُ تعليمٍ وإرشادٍ، ولذلك ابتُدِئَ بأمرِ الرَّسولِ - ﷺ - بفعلِ القولِ؛ استرعاءً للأسماعِ كما تقدَّم آنفًا[1].

سرُّ تكرارِ ﴿قُلْ﴾ أربعَ مرَّاتٍ بعد قولِهِ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾:

إعلامُ المخاطَبينَ بأنَّ الرَّسولَ مبلِّغٌ عنِ اللهِ تعالى

الخِطَابُ في ﴿قُلْ﴾ لِلرَّسُولِ وَفِي ﴿تَعَالَوْاْ﴾ لِلمُشْرِكِينَ، أو لِمَنْ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ مُؤْمِنٍ وكِتَابِيٍّ ومُشْرِكٍ، وسِيَاقُ الْآيَاتِ يَدُلُّ على أَنَّهُ لِلْمُشْرِكِينَ، وإِنْ كَانَ حُكْمُ غَيْرِهِمْ فِي ذَلِكَ حُكْمَهُمْ؛ أَمَرَهُ تَعالَى أَنْ يَدْعُوَ جَمِيعَ الخَلْقِ إِلَى سَمَاعِ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ بِشَرْعِ الإِسْلَامِ المَبْعُوثِ بِهِ إِلَى الأَسْوَدِ وَالأَحْمَرِ[2].

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ أمرٌ لهُ ﷺ بعد ما ظهرَ بطلانُ ما ادَّعوا أن يبيِّنَ لهم من المحرَّماتِ ما يقتضي الحالُ بيانَهُ على الأسلوبِ الحكيم إيذانًا بأنَّ حقَّهم الاجتنابُ عن هذه المحرَّماتِ، وأمَّا الأطعمة المحرَّمة فقد بُيِّنَتْ فيما تَقَدَّم[3].

مَن يُدقِّقِ النَّظرَ يجدْ أنَّ هذا الأمرَ فيه من الأسرارِ البلاغيَّةِ والحِكم الإلهيَّة ما يُفحم هؤلاء الكافرين، ويدحض افتراءاتِهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ155.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/684، 685.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 4/297.

على اللهِ بتحريم أشياءَ من عندِ أنفسِهم زاعمين أنَّ تحريمَها من عند اللهِ تعالى، فهو يُشعرهُم بأنَّ هذا الرَّسولَ ﷺ مأمورٌ بالتَّبليغ بـ﴿قُلْ﴾، وهو نفسُه لا يستطيعُ أن يُقْدِم على ما أقدمتُم عليهِ من ادِّعاء هذا التَّحريم؛ لأنَّه يُبلِّغُ عنِ اللهِ تعالى ما أوحي إليهِ.

فهذا أمرٌ من اللهِ للرَّسولِ ﷺ بتبليغِ ما حرَّمهُ اللهُ حقيقةً وما أحلَّهُ، فكيف بكم تحرِّمون، وتحلُّون من عند أنفسِكم؟ ثم تزعمونَ أنَّ هذا التَّشريعَ من عندِ الله!!

ولذا فإنَّ خلوَّ الكلامِ عن الأمرِ ﴿قُلْ﴾ يجعلهُ خاليًا من القوَّةِ الروحيَّة، أو الإلهيَّةِ للتَّبليغِ إلى جانب أنَّ هذا الأمرَ يتضمَّن استهزاءً بهم وسخريةً منهم، بل يَصفُهم ضمنًا بالكذب والافتراءِ؛ إذ إنَّ ادِّعاءَهم المحرَّمات لا يستندُ إلى مثل هذا الأمرِ الإلهيِّ[1].

إيثارُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿تَعَالَوْاْ﴾، والعدولُ عن مرادفاتِهِ:

إفـادةُ طلبِ الإقبالِ من الدَّرَكِ إلى الدَّرَجِ، ومن السُّفلِ إلى العُلُوِّ

تَعالَوْا: معناهُ أقبلوا، وأصله من العلوِّ، فكأنَّ الدُّعاءَ لمَّا كان أمرًا من الدَّاعي؛ استعملَ فيه ترفيعُ المدعوِّ، ولعلَّ ذلك لأنَّهم كانوا إذا نادوا إلى أمرٍ مُهمٍّ؛ ارتقى المنادي على ربوةٍ ليُسمع صوتهُ، ثم شاعَ إطلاق (تعالَ) على طلبِ المجيء مجازًا بعلاقةِ الإطلاقِ، فهو مجازٌ شائع صار حقيقة عرفيَّةً؛ فأصلُهُ فعلُ أمرٍ لا محالةَ مِن التَّعالي، وهو تكلُّفُ الاعتلاء، ثم نُقل إلى طلب الإقبالِ مُطلقًا، فَالنِّداءُ بـ﴿تَعَالَوْاْ﴾ دعوةٌ لإقبالهم إليهِ بكلِّ مداركِهم، وتفكيرٌ وتنبيهٌ لعظمِ ما سيبيِّنهُ لهم من وصايا وتكليفاتٍ[2]، يضافُ إلى ذلك أنَّ دلالةَ كلمةِ ﴿تَعَالَوْاْ﴾ في هذا المقام لا تخفى، أي: أقبلوا إليَّ، واصعدوا من حضيضِ الجهل، والتَّقليد، والضَّلال الَّذي تمرَّغتم[3] فيهِ إلى أوجِ العلمِ والهدى.

---

(1) عبد الحليم محمد إبراهيم، من بلاغة القرآن الكريم في الوصايا العشر، ص: 19.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/361، وابن عاشور، التَّحرير والتنوير: 8/أ156، و157، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2728.

(3) العَرَبُ تَقُولُ: تَمَرَّغْنا أي تَنَزَّهْنا، والمَرْغُ: الرَّوْضةُ الكَثِيرَةُ.

والأداءُ القرآني هنا يأخذ لفظَ (تعال) بفهمٍ أعمقَ من مجرَّدِ الإقبالِ، فكأنَّ الحقَّ يقول: أقبلْ عليَّ إقبالَ مَنْ يريدُ التَّعالي في تلقِّي الأوامرِ.

فأنتَ تُقبلُ على أوامرِ اللهِ؛ لتعلوَ وترتفعَ عن حضيضِ تشريعِ البشريَّةِ، فلا تأخذ قوانينك من حضيضِ تشريعِ البشرِ؛ لأنَّ الشَّرطَ الواجبَ في المشرِّع ألَّا يكونَ مساويًا لمن شرَّع له، وألَّا يكون منتفعًا ببعض ما شرَّع، وأن يكون مستوعبًا، فلا تغيبُ عنه قضية، ولا يغفلُ عن شيء؛ والمشرِّعُ من الخلقِ لا يشرِّع إلَّا بعد اكتمالِ عقلهِ ونضجِهِ، ولا يقدر أن يمنعَ نفسَهُ من الانتفاعِ بالتَّشريعِ، فالمعنى: اتركوا حضيضَ التَّشريعِ البشريِّ، وارتفعوا إلى السَّماءِ، لتأخذوا تقنينكم منها، فحين ينادي اللهُ ﴿تَعَالَوْاْ﴾، فمعناها: ارتفعوا عن حضيضِ تقنينِ بشريَّتكم إلى الأعلى؛ لتأخذوا منه قوانينَكم الَّتي تحكمُ حركةَ حياتكم، فهو لا ينتفع بما شرع، بل أنتم الذين تنتفعون، ولأنَّه لا يغيب عنه شيء سبحانه، وهو خالق، هو أولى أن يشرعَ لكم[1].

دلالةُ الفعلِ ﴿أَتْلُ﴾ ووجهُ جزمِهِ:

﴿أَتْلُ﴾ مضارعٌ مجزومٌ جوابًا للطَّلب، والتِّلاوةُ هي قراءةُ القرآنِ الكريمِ مُرتَّلًا مُتتابعًا في كلماتهِ وأساليبه، والمرادُ هنا البيانُ؛ لأنَّ البيانَ ثمرةُ تلكِ التِّلاوة المتتابعة الموضَّحة، فهذا تعبيرٌ بالمسبِّب عن السَّبب[2].

التِّلاوةُ هي البيانُ الَّذي هو ثمرةُ تلك التِّلاوةِ المتتابعةِ الموضَّحةِ

معنى ﴿مَا﴾ ودلالةُ صيغةِ الماضي في الفعل ﴿حَرَّمَ﴾:

﴿مَا﴾ تحتمل الخبريَّةَ، اسمٌ موصولٌ بمعنى: الَّذي، أي: أُبيِّن لكم الَّذي حرَّمه الله تعالى عليكم، وتحتملُ المصدريَّة، ويكون المؤدَّى: تعالوا أتلُ تحريمَ ربِّكم تعالى عليكم، ويجوز أن تكونَ استفهاميَّةً

(ما) موصولةٌ أو مصدريَّةٌ، أو استفهاميَّةٌ لبيانِ عمومِ المحرَّماتِ

(1) الشعراوي، خواطر الشعراوي: 3984.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2728.

منصوبةً بـ﴿حَرَّمَ﴾، والجملةُ مفعولُ ﴿أَتْلُ﴾؛ لأنَّه بمعنى (أَقُل)، فكأنَّهُ قيل: أتلُ أيَّ شيءٍ حرَّم ربُّكم[1].

نكتةُ إطلاقِ التَّحريمِ على هذه الوصايا، مع أنَّ فيها أوامرَ ونواهيَ:

ما رغَّب بالأمر فضدُّه منهيٌّ عنه، والتَّحريم ردٌّ عليهم فيما حرَّموه من عند أنفسِهم

وردتْ خمسُ وصايا من الوصايا العشرِ في الآياتِ الثَّلاثِ (151 – 152 – 153) بصيغةِ النَّهي، والأخرى بصيغةِ الأمرِ، ولكلٍّ أسرارٌ بلاغيَّةٌ.

وبالجملةِ يمكننا القولُ: إنَّ ما رغَّب فيه بلفظِ الأمرِ، فضدُّه هو المنهيُّ عنه المحرَّم، فيكون الجميعُ محرَّمًا (منطوق النواهي وأضداد الأوامر)، ولكنَّه اكتُفي بلفظِ التَّحريم عن قوله: (وما أحلَّ) إيجازًا، وتنويهًا بافتراءاتِهم السَّالفةِ؛ إذ حرَّموا أشياء من عند أنفسِهم، فقوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إنَّ ما يُتلى عليكم هو المُحرَّم من عند الله، لا ما حرَّمتموه من عند أنفسِكم، وزعمتم كذبًا أنَّ الله حرَّمه من عنده.

وخَصَّ التَّحريمَ بالذِّكر بصيغةِ الماضي مع أنَّ الوصايا الَّتي بُيِّنت بها التِّلاوة أعمُّ؛ ولعلَّ ذلك لمناسبةِ ما سبق، وهو إنكارُ أن يحرِّمَ غيرُ اللهِ[2].

سرُّ إسنادِ التَّحريمِ إلى الرَّبِّ، ودلالة الإضافةِ:

الـرَّبُّ أعلمُ بما يَصلحُ لعبادِهِ، فإذا حرَّم شيئًا فالمنعُ منه عينُ العطاءِ

التَّعرُّضُ للرُّبوبيَّة في قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾، مع إضافةِ كلمةِ (ربّ) إلى ضمير المخاطبين، يفيد التخصيصَ والاعتزازَ والتَّقديرَ، وتذكيرٌ بكونهِ تعالى ربًّا لهم، ومالكًا لأمرِهم على الإطلاقِ، فهو تعالى الَّذي له القوامةُ، والتَّربية، والتَّوجيه، والحاكميَّة؛ فالَّذي يحرِّم هو (الرَّبُّ)، واللهُ وحدَهُ الَّذي يجب أن يكون ربًّا، وهذا من أقوى الدَّواعي إلى أن ينتهوا عمَّا نهاهُم اللهُ تعالى عنه أشدَّ انتهاءٍ[3].

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/188، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2728.
(2) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 8/162، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 5/214.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/198.

وقال: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾، ولم يقُلْ: (ما حَرَّمَ اللهُ)؛ لأنَّ الرَّبَّ هنا أنسَبُ؛ حيثُ إنَّ الرَّبَّ له مُطْلَقُ التَّصَرُّف في المربوبِ، والحكمُ عليه بما تَقْتضيه حِكْمَتُه[1].

دلالةُ لفظِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾، وحكمُ الوقفِ عليهِ والابتداءِ بهِ:

تعلُّق (عَلَيْكُم) بـ(حَرَّمَ) للبيانِ والحجَّةِ، والابتداءُ به للإغراءِ

قُيِّدَتِ الجملةُ بالجارِّ والمجرورِ بقوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾؛ ولعلَّ السِّرَّ في هذا لاعتقادِ المخاطبين أنَّهم ليسوا هم المعنيِّين بفعلِ التِّلاوة، ولعلَّ تأخيرَ الجارِّ والمجرور، وتقديم ﴿مَا حَرَّمَ﴾ عليه لأهمِّيَّةِ المحرَّم.

وقالَ ابن عرفةَ: "وإنَّما قال: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، ولم يقل: حرَّمَ بالإطلاقِ مع أنَّه محرَّمٌ على الجميع؛ لأنَّ الخطابَ للَّذين كانوا عصوا بذلك، وغيرهم لم يعصِ"[2].

وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جارٌّ ومجرورٌ متعلِّقٌ بالفعل ﴿حَرَّمَ﴾، وجُوِّز أن يتعلَّق بـ﴿أَتْلُ﴾، ورُجِّح الأوَّل بأنَّه أنسبُ بمقامِ الاعتناءِ بإيجابِ الانتهاءِ عنِ المحرَّماتِ المذكورة[3]. وتكونُ فائدتُهُ البيانَ والحجَّةَ؛ لئلَّا يكون للنَّاسِ على الله حجَّةٌ في تحريمِ شيءٍ؛ وفي تخصيصِ المخاطبينَ بهذا التَّحريمِ تعريضٌ بالَّذين حرَّموا مِن قِبَل أنفسِهم، ويكون الوقفُ حينئذٍ على الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

وما وردَ من الوقفِ على لفظِ ﴿رَبُّكُمْ﴾، والابتداء بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ في قوله تعالى: ﴿۞قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: 151]، قال الأشموني: "﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ حَسَنٌ، ثمَّ يبتدئُ ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ على سبيلِ الإغراءِ، أي: الزموا نفيَ الإشراكِ؛ وإغراءُ المخاطَب فصيحٌ؛ نقلهُ ابن الأنباري، وأمَّا إغراءُ الغائب؛ فضعيفٌ"[4].

(1) ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد: 1/36.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/316، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/199.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/198.
(4) الأشموني، منار الهدى، ص: 256.

والظَّاهرُ المتبادرُ من النَّظم القرآنيِّ أنَّ الوقفَ يكونُ على لفظِ ﴿عَلَيۡكُمۡۖ﴾، وتحتملُ جملةُ ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ على هذا وجهينِ من الإعراب:

الوجه الأولُ: أن تكونَ هذه الجملةُ خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ؛ ويكون تقديرُ الكلام: هو ألَّا تشركوا[1]، أو يكون تقديرُه: ذلك ألَّا تشركوا[2]، وعلى هذا الوجه الإعرابيِّ يصلحُ الابتداءُ بها على سبيلِ الاستئنافِ.

الوجه الآخرُ: أن تكونَ هذه الجملةُ في موقعِ عطفِ البيانِ من جملةِ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ﴾، ويكون التقديرُ: قل: تعالوا أتلُ ما حرَّمَ ربُّكم عليكم، أتلُ ألَّا تشركوا به شيئًا[3].

كيف يكون (عدم الإشراك) داخلًا في ما يُتلى من المحرَّم؟

(أن) تفسيريَّة، و(لا) ناهية، ودخولُهُ في التَّحريمِ للتَّوهيم

الظَّاهر في قوله: ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾، أنَّ (أن) تفسيريَّةٌ، و(لا) ناهية؛ لأنَّ الفعل ﴿أَتۡلُ﴾ فعل بمعنى القول، وما بعد (أن) جملة فاجتمع فيها شرطا التَّفسيريَّة، وهي أن يتقدَّمها معنًى لقول، وأن يكون بعدها جملةٌ[4].

أمَّا كيف يكون عدمُ الإشراك (التوحيد) داخلًا في ما يُتلى من المحرَّم؛ فتوجيهُ ذلك بمبحثٍ معلوم، عنوانُه: فنُّ التَّوهيم[5]، فإنَّ ظاهرَ الكلام في الآية الكريمةِ يدلُّ على تحريمِ نفي الشِّرك؛ ملزومُهُ تحليلُ الشِّرك!! وهذا محالٌ، وخلافُ المعنى المراد؛ والتَّأويل الَّذي يَحلُّ الإشكال: هو أنَّ الوصايا المذكورةَ في سياق الآيةِ: ما حرَّم عليهم، وما هم مأمورونَ به؛ فإنَّ الشِّركَ باللهِ، وقتلَ النَّفسِ المحرَّمة،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/215.
(2) النحّاس، القطع والائتناف، ص: 326.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/216، والنحّاس، القطع والائتناف، ص: 326، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/157.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 4/685، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ158.
(5) هو أن يأتي المتكلِّم بكلمةٍ يوهِمُ ما بعدها من الكلام أنَّ المتكلِّم أراد تصحيفها، وهو يريد غير ذلك.

وأكلَ مالِ اليتيم، ممَّا حرَّم ظاهرًا وباطنًا؛ وأمَّا وفاءُ الكيلِ والميزانِ بالقسطِ، والعدلُ في القولِ، فضلًا عن الفعل، والوفاءُ بالعهدِ، واتِّباعُ الصِّراط المستقيم فهذا من الأفعالِ المأمورِ بها أمرَ وجوبٍ، ولو جاءَ الكلامُ بغيرِ (لا)؛ لانبَترَ، واختلَّ، وفسَدَ معناه، فإنَّه يصيرُ المعنى حرَّم عليكم الشِّركَ، والإحسان إلى الوالدَين، وهذا ضِدُّ المعنى المرادِ، ولهذا جاءتِ الزِّيادةُ الَّتي أوهمَ ظاهرُها فسادَ المعنى، ليُلجأَ إلى التَّأويلِ الَّذي يصحُّ به عطفُ بقيَّةِ الوصايا على ما تقدَّم[1].

فائدةُ الجارِّ والمجرورِ و﴿بِهِۦ﴾، وتنكيرِ ﴿شَيۡـٔٗا﴾:

إفـادةُ التَّبشيعِ لشركهم باللهِ، والتَّعميم

تعلُّقُ الجارِّ والمجرور بالفعل ﴿تُشۡرِكُواْ﴾ الواقعِ في سياقِ النَّهْي في القرآنِ الكريم؛ لإفادة التَّبشيعِ لجريمتهم الشَّنعاء، وهي الشِّرك باللهِ ﷻ، وللتَّعريضِ بصنيع الكافرين قبل ذلك المشار إليه في مستهلِّ هذه السُّورةِ بقوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام: 1]، والمذكورِ قُبَيْل هذه الآيةِ بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١٥٠﴾ [الأنعام: 150].

و﴿شَيۡـٔٗا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى المَفْعُولِيَّةِ لِـ ﴿تُشۡرِكُواْ﴾ أَيْ: لَا تَجْعَلُوا شَرِيكًا شَيْئًا ممَّا يُعْبَدُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ [الجنّ: 2] وَيَجُوزُ انْتِصَابُهُ عَلَى المَصْدَرِيَّةِ لِلتَّأْكِيدِ، أَيْ: شَيْئًا مِنَ الْإِشْرَاكِ وَلَوْ ضَعِيفًا؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا﴾ [المَائِدَة: 42][2].

ولعلَّ السَّببَ في هذا التَّقييد إرادةُ التَّعميم، أي: لا قليلًا ولا كثيرًا، أو: لا تشركوا به شيئًا من الأشياء وإن كانت عظيمةً في الخَلْق كالشَّمس، والقمر، والكواكب، أو عظيمةً في القدرِ كالملائكةِ والأنبياء والصَّالحين[3].

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: 4/328.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/49.

(3) محمد رضا، تفسير المنار: 8/162، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 3/268، ومحمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 6/126.

بلاغةُ البدءِ بالنَّهي عنِ الشِّركِ دونَ ما بعدَهُ:

إصلاحُ الاعتقادِ مفتاحُ الإصلاحِ في العاجلةِ والفلاحِ في الآجلة

كان الشِّركُ باللهِ هو المحرَّمُ أوَّلًا؛ لأنَّه أصلُ كلِّ شرٍّ ومنكرٍ، كما أنَّ التَّوحيدَ هو أصلُ كلِّ خيرٍ ومعروفٍ، وعليه تُبنى الأعمالُ الصَّالحة، فإذا هُدمت تلك القاعدةُ؛ هُدِم البناءُ كلُّه، ولا خيرَ في عملٍ بعدها، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 23]، وقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: 103 - 106].

بلاغةُ النَّهي الصَّريحِ عن الشِّركِ، والعدولِ عنِ الأمرِ بالتَّوحيدِ:

مناسبةُ المقامِ، واقتضاؤه ضدَّه، واستقصاؤه أنواعَ الشرك، والتَّخليةُ مقدَّمةٌ على التَّحلية

ورد النَّهيُ عن الشِّركِ صراحةً في قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، وعُدِلَ عن النَّهي عنه ضِمنًا، فلم يقل: (اعبدوا اللهَ وحده)؛ لمناسبة المقامِ، إذ إنَّ الكلامَ على المحرَّمات؛ ومجيءُ النَّهي عن الشِّرك صراحةً بمنزلةِ الرُّكنِ الرَّكينِ لجميع المحرَّماتِ؛ فمنِ اجتنَبَ الشِّركَ؛ سَلِمَت أعمالُهُ، وبقي على فطرتِهِ الَّتي فطرهُ اللهُ عليها، كما أنَّ النَّهي عن الشِّركِ يدخلُ فيه الأمرُ بالتَّوحيدِ ضِمنًا، ولكنَّ التَّصريحَ بالتَّوحيدِ لا يسدُّ مسدَّه؛ لأنَّ النهي عن الشِّرك أعمُّ من الأمرِ بالتَّوحيد؛ لأنَّه استقصى كلَّ أنواعِه، لوقوعِ النَّكرة ﴿شَيْـًٔا﴾ في سياق شبهِ النَّفي، وهو النَّهْي.

دلالةُ عطفِ جملةِ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ على ما قبلها:

بعدَ إصلاحِ قلبِ الإنسانِ بالتَّوحيدِ إصلاحُ قالَبِ المجتمعِ ولَبِنَاتِهِ الأُسْرِيَّة

بدأ سبحانه بالنَّهي عن الشِّركِ؛ لأنَّه أعظمُ المحَرَّمات، وأكبرُ الكبائرِ، وأتبع ذلك: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ أي: أحسنوا بهما إحْسانًا كاملًا لا إساءةَ معهُ، وعن ابنِ عبَّاسٍ: يريدُ البرَّ بهما مع اللُّطفِ ولينِ الجانبِ، فلا يُغلظُ لهما في الجواب، ولا يحدُّ النَّظرَ إليهما، ولا يرفعُ

صوتَهُ عليهما، بل يكونُ بين يديهما مثلَ العبدِ بين يدي سيِّدِه تذلُّلًا لهما، وثنَّى اللهُ تعالى بهذا التَّكليفِ؛ لأنَّ نعمةَ الوالدَين أعظمُ النِّعم على العبدِ بعد نعمةِ اللهِ تعالى؛ لأنَّ المؤثِّر الحقيقيَّ في وجود الإنسانِ هو اللهُ ﷻ، والمُؤَثِّرَ في الظَّاهر هو الأبوان[1].

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ، وبلاغةُ حذفِ العاملِ:

المبالغةُ في تأكيدِ شأنِ العنايةِ والإحسانِ بالوالدين

الإحسانُ يتعدَّى بحرفي (الباء) و(إلى)، فقال: أحسِنْ بهِ، وأحسِنْ إليه، وبينهما فرقٌ واضحٌ، فالباء تدلُّ على الإلصاق، و(إلى) تدلُّ على الغاية، والإلصاق يفيد اتِّصال الفِعل بمدخول (الباء) دون انفصالٍ ولا مسافةٍ بينهما، أمَّا الغايةُ؛ فتفيدُ وصولَ الفعل إلى مدخولِ (إلى) ولو كان منه على بُعْد، أو كان بينهما واسطة، ولا شكَّ أنَّ الإلصاقَ في هذا المقام أبلغُ في تأكيد شأنِ العناية والإحسان بالوالدين، ومن هنا لم يُعَدَّ الإحسانُ بالباء في القرآن إلَّا حيث أريد ذلك التَّأكيد، وقد جاءت جميعُ الآياتِ القرآنيَّةِ الَّتي توحي بالإحسان بالوالدين على هذا الأسلوب[2]. و﴿إِحْسَٰنًا﴾ مفعول مُطلق للتَّأكيدِ على ضرورةِ الالتزام بتلك الوصيَّةِ، وهو نائبٌ عن فعلِ الأمرِ (أحسنوا)، والتَّقديرُ: وأحْسِنُوا بالوالدين إحْسَانًا[3].

بلاغةُ الإيجازِ بالحذفِ في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾:

الإشارةُ إلى أنَّ الإحسانَ إلى الوالدين غنيٌّ عنِ التَّصريحِ؛ وفضلُهما ظاهرٌ

في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إيجازٌ بالحذفِ؛ ففيها حذفُ الفعلِ، وتقديرهُ: أوصى، وجازَ حذفُهُ لدلالة الكلام عليه، فقد خُتمتِ الآيةُ بقولهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾؛ ولمعرفةِ السَّامع بمعناه[4]. والمعنى: أوصاكم ربُّكم أن تُحسنوا بالوالدين إحسانًا كاملًا، لا تدَّخرون فيه وسعًا، ولا تألون فيه جهدًا، وهذا

(1) الآلوسي، روح المعاني: 4/297.
(2) محمد رضا، تفسير المنار: 8/163، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 5/216.
(3) محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: 2/534.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 12/215.

يستلزمُ تركَ الإساءة وإنْ صغرت، فكيف بالعقوقِ المقابلِ لغاية الإحسان[1]؟

إيثارُ الأمرِ بالإحسانِ إلى الوالدين على النَّهي عن عقوقهما:

الإيـــذانُ بـأنَّ الإسـاءَةَ إليهما ليس مِن شَأْنِها أن تَقَعَ

قولُه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وَضَعَه موضِعَ النَّهي عن الإساءَةِ إليهما؛ للمبالغَةِ، وللدَّلالَةِ على أنَّ تَرْكَ الإساءَةِ في شَأْنِهما غيرُ كافٍ؛ بخلافِ غَيْرِهما، وللإيذانِ بأنَّ الإساءَةَ إليهما ليس مِن شَأْنِها أن تَقَعَ فيُحْتاجَ إلى التَّصريحِ بالنَّهْيِ عنها؛ لأنَّها خِلافُ ما تَقْتَضي الفِطْرَةُ السَّليمةُ، والآدابُ المَرْعِيَّة عِنْد جَميعِ الأُمَم؛ وإنَّما عَدَلَ عن النَّهْيِ عنِ الإساءَةِ إلى الأَمْرِ بالإحسانِ اعتناءً بالوالِدَين؛ لأنَّ اللهَ أرادَ بِرَّهُما؛ والبِرُّ إحسانٌ، والأَمْرُ به يتضَمَّنُ النَّهْيَ عن الإساءَةِ إليهما بِطَريقِ فَحْوى الخِطاب، ولم يُؤكِّد الإحسانَ بالوالدين في النَّظم القرآنيِّ ببنائِه على صيغةِ المصدر، وتعديته بالباء فحسب، إنَّما أكَّد أيضًا بجعلِه قرينَ الأمرِ بعبادةِ اللهِ تعالى وحدَهُ، وتثنيةِ الوصايا به[2].

دلالةُ عطفِ جملةِ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ على ما قبلَها:

قـتـلُ الأولادِ أفـحـشُ أنـواعِ القتلِ وبخاصَّةٍ عند خوفِ الفقرِ

بعدَ أن بدأ بالتَّوحيدِ في صريحِ البراءةِ مِن الشِّركِ، وقرَن به البرَّ بالوالدين، أولاهُ القتلَ الذي هو أكبرُ الكبائرِ بعدَ الشِّرك، وبدأَهُ بقَتْلِ الوَلَدِ؛ لأنَّه أفحَشُ القَتْلِ، وأفحَشُ مِن مُطْلَقِه فِعْلُه خَوْفَ القِلَّة[3].

بلاغةُ الكنايةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾:

تـصـويـرُ جـهـلِ المشركينَ الذين كـانـوا يفعلونَ ذلك في الجاهليَّةِ مـصـحـوبًـا بالدَّليلِ

في الجملةِ الكريمةِ كنايةٌ عن وأدِ البناتِ، والكنايةُ استعمالُ اللَّفظِ في غير معناهُ الأصليِّ بمقتضى الاستعارة، أو التَّشبيه، أو الحال، أو غير ذلك؛ فالكنايةُ هي في قوله: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾؛ فإنَّ

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 5/216.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/188، ومحمد رضا، تفسير المنار: 8/163، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/158.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/316.

الإملاقَ هو الفقرُ والضَّنك، ولكنَّه استُعملَ هنا كنايةً عن الخوفِ من الفقرِ، فالمعنى: ألَّا تقتلوا أولادَكم خشيةَ أن تفتقروا فيما تنفقون عليهم، وهذا من جهلِ المشركين الَّذين كانوا يفعلون ذلك في الجاهليَّةِ، وأنكروا رزقَ اللهِ لخلقِه، فأخبرَهم اللهُ تعالى أنَّه هو الذي يرزقهم وإيَّاهم؛ وسِرُّ جمال الكناية: الإتيانُ بالمعنى مصحوبًا بالدَّليل عليه في إيجازٍ وتجسيمٍ.

معنى النَّهي عن قتلِ الأولادِ، وإيثارُ لفظ ﴿أَوْلَٰدَكُم﴾ على (أبناءكم):

الـدَّلالـةُ على أنَّ قتلَ الأولادِ أفحشُ أنواعِ القتلِ، وشاملٌ الذُّكورَ والإناثَ

قُيِّد القتلُ بالمفعولِ به، وهو قولُه تعالى: ﴿أَوْلَٰدَكُم﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ أفحشَ أنواعِ القتلِ قَتْلُ الولدِ، وآثرَ استعمالَ لفظِ: ﴿أَوْلَٰدَكُم﴾ دون (أبناءكم)؛ لأنَّ (الأبناء) تُطلقُ على الذُّكور فحسب، أمَّا (الأولاد) فتشملُ الذُّكورَ والإناث، إضافةً إلى ذلك أنَّ الولدَ هو الَّذي ولدَهُ الوالد من صلبِه على وجه الخصوص، وفي قوله: ﴿أَوْلَٰدَكُم﴾: مجازٌ مرسلٌ عن البناتِ، علاقتُه: الكليَّةُ، وسِرُّ جمال المجازِ الدِّقَّةُ والإيجازُ[1].

سرُّ إضافةِ (أولاد) إلى ضميرِ المخاطبينَ:

إفـادةُ التَّخصيصِ والتَّذكيرِ بالرَّابطةِ الإنسانيَّةِ القويَّةِ بين الآباءِ والأبناءِ

إضافةُ (أولاد) إلى ضميرِ الخطابِ (كم)، تفيد التَّخصيصَ والتَّذكيرَ بالرَّابطةِ الإنسانيَّةِ القويَّةِ بين الآباءِ والأبناءِ، وبالتَّالي بيانٌ لاحتياجِ الأبناءِ للعطفِ والإشفاقِ لا القسوة والشِّدَّة.

فائدةُ حرفِ ﴿مِّنْ﴾، وإيثارِ لفظِ ﴿إِمْلَٰقٍ﴾:

الإيحاءُ بشدَّةِ فزعِ أهلِ الجاهليَّةِ من الفقرِ

قولُه تعالى: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾: تعليلٌ لسببِ القتلِ، وفيه استعارةٌ مكنيَّةٌ تجسِّدُ الفَقْرَ بشيءٍ مادِّيٍّ نخافه، وتوحي بشدَّة الفزعِ من الفقرِ، وقد أفادَ تقييدُ الجملةِ بالمفعولِ لأجلِه بيانَ أنَّ أفحشَ أنواعِ قتلِ الولدِ قَتْلُهُ لأجلِ الفقرِ[2].

(1) مريم العبيد، آيات العقيدة في سورة الأنعام دراسة بلاغية تحليلية، ص: 279.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/316 - 317.

بلاغةُ فصلِ جملةِ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ عمَّا قبلَها:

فُصِلَ قولهُ تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لوقوعِه استئنافًا بيانيًّا، فقد حملَ تعليلًا للنَّهي عن قتلِ الأولادِ، وبهِ أُبطِلَ السَّببُ الَّذي يدفعُهم إلى قتلِهم[1].

إبطالُ السَّببِ الدَّافعِ إلى قتلِ الأولادِ

تقديمُ المسندِ إليه ﴿نَّحْنُ﴾ على المسندِ ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾:

قدَّم المسندَ إليهِ على المسندِ الفعليِّ في الجملةِ؛ لإفادةِ الاختصاصِ، فكأنَّهُ قيل: نحن نَرزقكُم وإيَّاهم لا أنتم ترزقون أنفسَكم، ولا ترزقون أولادَكم[2]، وفي هذا القصرِ تأكيدٌ للخبرِ مع ما فيه من إيجازٍ.

إفادةُ التَّخصيصِ والتَّأكيدِ والتَّقويةِ

بلاغةُ الإطنابِ في قوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾:

الإطنابُ: فنٌّ استعمالِ الكلامِ الزَّائدِ عن الحاجةِ لتحقيقِ مقصودٍ بلاغيٍّ معيَّنٍ، مثل التَّوكيد، أو التَّشويق، أو التَّحذير، أو الإعجاز؛ فالإطنابُ هنا هو في قوله: ﴿وَإِيَّاهُمْ﴾، فإنَّهُ يمكن حذفُ هذه الكلمةِ دون تغييرِ المعنى؛ لأنَّ الأولادَ مشمولونَ بالرِّزق الَّذي يرزقُهُ اللهُ لآبائِهم، ولكنَّ اللهَ تعالى أطنبَ في هذا المقامِ لأسبابٍ بلاغيَّةٍ عديدةٍ، منها:

التَّوكيدُ أنَّ اللهَ هو الرَّازقُ للخلقِ جميعًا

أولًا: توكيدُ أنَّ اللهَ هو الرَّازقُ للخلق جميعًا، وأنَّه لا يُضَرُّ أحدٌ برزق غيره.

ثانيًا: التَّحذيرُ من قتلِ الأولادِ خشيةَ الفقرِ، وأنَّ ذلك من جهلِ المشركينَ وظلمِهم.

ثالثًا: التَّشويقُ لمعرفة حكمة خلقِ الأولادِ وفضلهم وبركتهم، وأنَّهم رزقٌ من رزق اللهِ.

رابعًا: إعجازُ المخاطبين بالتَّحدِّي في إتيانِ مثل هذا الكلامِ المختصر المبين[3].

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/198، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/159.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/159.

(3) راشد بن حمد الكعبي، بلاغة الإطناب في سور المفصَّل، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

نكتةُ التَّعبيرِ بضميرِ المتكلِّم المعظِّمِ نفسَه:

الـتـفـاتٌ مِـنَ الـغـيـبـةِ إلى التَّكلُّمِ لتعظيمِهِ والـتَّـحـذيـرِ من مخالفتِهِ

في ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ خرجَ الكلامُ على خلافِ مُقتضى الظَّاهرِ في حقِّ اللهِ ﷻ، فقد عدلَ عن طريقِ الغيبةِ إلى طريق التَّكلُّم، وهذا من الالتفاتِ، ولعلَّ ذلك - كما علَّل ابنُ عاشور - للتَّذكير بالَّذي أمرَ بهذا القول[1].

وواءم هذا الالتفاتُ المقامَ؛ وبيانُ ذلك أنَّ المخاطبين إنَّما قَتَلوا أولادَهم بسببِ الفقرِ، وقِلَّةِ الحيلةِ، فحتى تُبثَّ الطُّمَأنينةُ في نفوسهم المضطربة، ويُمكَّنَ الخبرُ مِنَ التَّغلغل إلى أعماقهم الخائرة... عُدِلَ عن طريقِ الغيبةِ إلى التَّكلُّم، فقيل: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وهذا الطَّريق "هو قرينُ الحضورِ والمشاهدةِ"[2]، فيكونُ في هذا الالتفاتِ - إضافة إلى ما ذَكَره ابن عاشور - ما أشيرَ إليه ههنا، والله تعالى أعلمُ.

بلاغةُ فنِّ التَّغاير[3] بين آيتي الأنعام والإسراء:

الإشـــارةُ إلى تـغـايـرِ المعنى لمغايرةِ اللَّفظ، فالخطابُ في كلِّ آيةٍ لصِنفٍ

من بلاغةِ التَّغاير في الكلام تغايرُ المعنى لمغايرةِ اللَّفظِ، وهذا الَّذي نحن بصَددِه في هذهِ الآية الكريمة؛ والكلامُ في الآيةِ غيرُ قولِهِ في هذا المعنى في بني إسرائيل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾، فالخطابُ في كلِّ آيةٍ لصِنفٍ، وليس خطابًا واحدًا؛ فالمخاطَبُ بقولِهِ سبحانه: ﴿مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾ مَن ابتُلي بالفقرِ، وبقوله تعالى: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾ مَن لا فَقر له، ولكن يَخشى وقوعَه في المستقبلِ، ولهذا قدَّم رزقَهم هاهنا في قوله ﷻ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[4].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ159.

(2) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص: 111.

(3) حدُّه: تغاير المذهبين؛ إمَّا في المعنى الواحد بحيث يمدح إنسان شيئًا أو يذمُّه، أو يذمُّ ما مدحهُ غيْره، وبالعكس، ويفضِّلُ شيئًا على شيءٍ، ثمَّ يعود فيجعل المفضول فاضلًا.

(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 4/329.

دلالةُ الضَّمائِرِ في قولِهِ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾:

التَّخصيصُ والتَّوكيدُ والتَّعظيمُ

تقديمُ الضَّميرِ ﴿نَحْنُ﴾ للتَّخصيصِ، وتكرارهُ للتَّوكيدِ، والتَّعبيرُ بضميرِ الجمعِ لتعظيمِ الذَّاتِ الإلهيَّةِ وتشريفِها.

دلالةُ الإخبارِ بالجملةِ الفعليَّةِ في قولِهِ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾:

تجدُّدُ الرِّزقِ وبثُّ الطُّمأنينةِ في نفوسِ المُلقينَ

أخبرَ عن ضميرِ العظمةِ بجملةٍ فعليَّةٍ لنُكتةٍ بلاغيَّةٍ؛ للدَّلالة - واللهُ أعلم - على أنَّ هذا الرِّزقَ الدَّائمَ يتجدَّدُ، ويحدثُ شيئًا بعد شيءٍ... ولعلَّ في هذا مزيدَ بثٍّ للطُّمأنينَةِ في نفوسِهم، وسيأتي مزيدُ بيانٍ له في المتشابهِ اللَّفظي.

نكتةُ تقديمِ رزقِ الآباءِ في قولِهِ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾:

سوقُ البشارةِ للآباءِ بزوالِ الإملاقِ، وإحالةِ الرِّزقِ على الخالقِ الرَّزاقِ

تقدَّمَ رِزقُ الآباءِ - وهم المخاطبون - فقالَ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾، ثمَّ عطفَ عليهِ ضميرَ الأبناءِ: ﴿وَإِيَّاهُمْ﴾، ولعله - واللهُ أعلمُ - لسوقِ البشارة للآباءِ بزوالِ الإملاق، وإحالةِ الرِّزقِ على الخالق الرَّزاق، فكما أنَّكم لا تقتلون أنفسَكم، فكذلك لا تقتلوا أولادَكم[1].

وسيأتي مزيدُ بيانٍ له في المتشابه اللَّفظي.

سرُّ وقوعِ جملة ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ بين قَتْلين:

الفواحشُ جنايةٌ عظيمةٌ، وأولادُ الزِّنى في حكمِ الأمواتِ

لـمَّا كانَ قتلُ الأولادِ أفحشَ الفواحشِ بعد الشِّركِ باللهِ، أتبعَهُ النَّهيَ عن مُطلقِ الفواحشِ، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾، ووجهُ توسيطِ هذا النَّهي بين النَّهي عن قتل الأولادِ، والنَّهي عن القتلِ مُطلقًا عليه - هنا وفي سورة الإسراء - باعتبارِ أنَّ الفواحشَ بهذا المعنى مع كونِها في نفسِها جنايةً عظيمةً في حكم قتلِ الأولادِ؛ فإنَّ أولادَ الزِّنى في حكم الأموات[2].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/687.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/362، ونظم الدرر: 7/317، والآلوسي، روح المعاني: 4/298.

بلاغةُ النَّهي عن قربِ الفواحشِ:

سـدُّ الـذَّرائـعِ، واتِّقاءُ جاذبيَّتها الَّـتـي تَـضْـعُـف معها الإرادةُ

عَظَّمَ أمْرَ الفواحشِ بالنَّهْيِ عن قُرْبِها، فضلًا عن الغِشْيانِ؛ لأنَّها ذاتُ إغراءٍ وجاذبيَّةٍ، فنهَى عن مجرَّدِ الاقترابِ؛ سدًّا للذَّرائعِ، واتِّقاءً للجاذبيَّةِ التي تَضْعُف معها الإرادةُ، وهو أبلَغُ في التَّحذيرِ مِنَ النَّهْيِ عن مُلابَسَتِها للمبالَغَةِ في الزَّجْرِ عنها[1].

فانصبابُ النَّهي على الاقترابِ ممَّا يقربُ من الفواحشِ كشفَ للقارئ دِقَّةَ التَّعبيرِ في النَّظمِ القرآنيِّ؛ فإذا كان الاقترابُ من الفواحشِ منهيًّا عنهُ؛ فالوقوعُ فيها أشدُّ نهيًا.

بلاغةُ الكنايةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾:

شـدَّةُ نهي اللهِ عـنِ الأفـعـالِ المـنـكـرةِ، وتـحـقـيرُهـا والتَّحذيرُ منها

أسلوبُ الجملةِ الكريمةِ إنشائيٌّ نَهي، غرضُه: الوجوبُ والإلزامُ والنُّصحُ، وهي كنايةٌ عن تجنُّبِ الآثامِ والابتعادِ عنها، وتَرَكَ التَّصريحَ بالمعنى المرادِ، وهو الزِّنى ومقدِّماته وغيره من المعاصي، وأشارَ إليه بلفظِ ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الذي يدلُّ على كلِّ ما هو قبيحٌ ومنكرٌ ومذمومٌ، وهذه الكنايةُ تدلُّ على شدَّةِ نهي اللهِ ﷻ عن هذه الأفعالِ، وتحقيرِها وتنكيرِها، وتحذيرِ عبادِه من الوقوعِ فيها.

وسِرُّ جمالِ الكنايةِ: الإتيانُ بالمعنى مصحوبًا بالدَّليلِ عليه في إيجازٍ وتجسيمٍ، ويجوز استعارة مكنيَّة فيها تصويرٌ للفواحشِ بأشياءَ ماديَّةٍ ملموسةٍ لا يجب الاقترابُ منها لخطورتِها أو التفكيرُ فيها؛ وسِرُّ جمالِ الصُّورةِ التَّجسيمُ، وهي توحي بضرورةِ التَّعقُّلِ قبل التَّفكيرِ في ارتكابِ الفاحشةِ.

سرُّ تعدِّي الفعلِ ﴿تَقْرَبُواْ﴾ بنفسِهِ:

الإشـــارةُ إلى عمومِ الفواحشِ الـظَّـاهـرةِ والخفيَّةِ

الفعلُ (يقرب) يتعدَّى بنفسِهِ، فيقالُ: لم يقرَب دارَهُ، أي: لَم يأتِها، كما يتعدَّى بـ(مِن)، فيقالُ: لم يقرَب من دارِه، أي: لم يقتربْ من أوَّلِ حدودِها.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/198، والبقاعي، نظم الدرر: 7/317 - 318، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/159.

ونلحظُ أنَّ الفعلَ هنا ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ﴾ تعدَّى بنفسه، فنصبَ ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾، ولم يقلْ: (ولا تقربوا من الفواحش)؛ وذلك لأنَّ قولَهُ: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾، وهو يدلُّ على العمومِ، فلا يناسبهُ دخولِ (مِنْ).

سرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿تَقْرَبُواْ﴾ دون (تأتوا):

النَّهْيُ عن القُرْبِ أَبْلَغُ من النَّهْيِ عن الإتيانِ

في قولِه: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾، لم يَقُلْ: لا تَأْتُوا؛ لأنَّ النَّهْيَ عن القُرْبِ أَبْلَغُ من النَّهْيِ عن الإتيانِ؛ لأنَّ النَّهْيَ عن القُرْبِ نَهْيٌ عنها، وعمَّا يكون ذريعةً إليها؛ ولذلك حَرَّمَ على الرَّجُلِ أن ينْظُرَ إلى المرأةِ الأجنبيَّةِ، وأنْ يَخْلُوَ بها، وأنْ تُسافِرَ المرأةُ بِلا مَحْرَمٍ؛ لأنَّ ذلك يُقَرِّبُ مِنَ الفَواحِشِ[1].

معنى ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾، وإيثارُ صيغةِ منتهى الجموعِ:

المُبالغةُ والكثرةُ، والتَّنوُّعُ، وفيها التَّحْقيرُ والتَّنْفيرُ مِن أنواعِ الآثامِ

الفواحشُ: جمعُ فاحِشَةٍ: وهي الفِعْلَةُ المتناهِيَةُ في القُبْحِ والشَّناعَةِ، والمقصودُ بها في الآيةِ الكريمةِ الزِّنى، والجمعُ إمَّا للمُبالغةِ والكثرةِ والتَّنوُّعِ؛ وفيها تحقيرٌ وتنفيرٌ، أو باعتبارِ تعدُّدِ مَن يصدرُ عنهُ، أو للقَصدِ إلى النَّهي عنِ الأنواعِ[2].

النّهي عمّا ظهر وما بطن بعد النَّهي العامِّ عنِ الفواحشِ:

تأكيدُ التَّعميمِ، وإفادةُ شمولِ المعاصي

في قولِه: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ تفصيلٌ للفواحشِ، أي: ما يُفعلُ منها علانيةً في الحوانيتِ، كما هو دأبُ أراذِلهم، وما يُفعل سِرًّا باتِّخاذِ الأخدانِ، كما هو عادةُ أشرافِهم، ولعلَّ السِّرَّ في التَّقييد بهذا القيدِ هو تأكيدُ التَّعميم[3]، واستعمالُ (ما) لإفادةِ العمومِ والشُّمولِ.

(1) ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد: 1/38.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/297.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/318، والآلوسي، روح المعاني: 4/297.

بلاغةُ الطِّباقِ بين (ظهر) و(بطن):

﴿ظَهَرَ﴾ و﴿بَطَنَ﴾: محسِّنٌ بديعيٌّ: طباقٌ يُبرزُ المعنى، ويوضِّحهُ بالتَّضادِ، وهو أنَّ السِّياقَ الكريم استعملَ كلمتَينِ متقاربتَين في المعنى والصَّوت؛ للدَّلالةِ على الشُّمولِ والتَّوسُّعِ في حرمة الفواحشِ، ويفيدُ هذا المحسِّنُ البديعيُّ العمومَ والشُّمولَ لكلِّ الفواحشِ الَّتي منها المخبوء المستور، ومنها المعلَنُ المنشورُ؛ فظاهرُ الفواحشِ هو ما يظهرُ منها على الجوارحِ والأفعالِ، وباطنُها هو ما يبطنُ في القلوبِ من الأهواءِ والشَّهواتِ؛ والمقصودُ بهما أنَّ اللّه تعالى حرَّم كلَّ ما يُقرِّب من الفواحش سواءٌ كان ظاهرًا أو باطنًا[1].

الدَّلالةُ على الشُّمولِ والتَّوسُّعِ في حرمةِ الفواحشِ

إيثارُ صيغةِ الماضي في ﴿ظَهَرَ﴾ و﴿بَطَنَ﴾:

وأوثرَ الماضي للدَّلالةِ على حكمة المشرِّعِ في النَّهي عن الأمرِ الواقع المتحقِّقِ، واستُخدم الفعل الماضي في الآية الكريمة؛ للدَّلالة على الحالةِ الدَّائمةِ أو العامَّةِ، وليس على الزمن الماضي فحسبُ؛ فالفواحشُ محرَّمة في كلِّ زمانٍ ومكان، سواءٌ ظهرت أو بطنت، وهذا التعبيرُ من بديعِ بلاغةِ القرآنِ الكريم الَّذي يستعملُ الأزمنة بحسب المقصودِ منها، وليس بحسبِ المعتادِ في عموم اللغة.

الدَّلالةُ على الحالةِ الدَّائمةِ أو العامَّة، وليس على الزَّمن الماضي فحسبُ

دلالةُ عطفِ جملةِ: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ﴾ على ما قبلها:

في عطف جملة ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ بالواوِ على ما قبلَها دلالةُ توسُّعٍ وتفصيلٍ وتنويعٍ، لإفادة المشاركة في الحُكم، بما في النَّهي من حكمةٍ عظيمةٍ ورحمةٍ بالغةٍ مِنَ اللّهِ تعالى لعبادِهِ؛ فإنَّهُ بحرمةِ دماءِ المسلمين يَضمَنُ سلامةَ المجتمعِ وانسجامَه، وبإباحةِ قتلِ المستحقِّ لذلك يَضمنُ عدالةَ المجتمعِ وانضباطَه.

إفادةُ توسُّعٍ وتفصيلٍ وتنويعٍ، والمشاركةُ في حكمِ النَّهي

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/362.

دلالةُ النَّهي في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ﴾:

تعظيمُ أمرِ قتلِ النَّفسِ وتفخيمُهُ والتَّنفيرُ منهُ

غرضُ النَّهي في الجملةِ الكريمةِ: التَّحذيرُ والتَّنفير، وخصَّه بالنَّهي؛ لأنَّه فسادٌ عظيم، وهذا النَّهيُ ضمَّه النَّهيُ عن جملةِ الفواحشِ في الجملة السَّابقةِ، إلَّا أنَّه أُفرد بالذِّكرِ، وهذا من الإطنابِ، ولعلَّ ذلك لفائدتين[1]:

الأُولى: أنَّ هذا الإفرادَ دلَّ على تعظيم الأمر المنهي عنه وتفخيمِه، وهو قتلُ النَّفسِ التي حرَّم الله تعالى إلَّا بالحقِّ، وقد قالَ الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

الثَّانية: أنَّه أريدَ أن يستثنى منه، ولا يتأتَّى هذا الاستثناء من جملةِ الفواحشِ، بل بالإفراد.

فائدةُ تعريفِ ﴿ٱلنَّفْسَ﴾:

إفادةُ العُمومِ والاستغراقِ، وكونُها أساسَ استمرارِ الحياةِ

جاءتِ النَّفسُ مُعرَّفةً للعُموم والاستغراق، وخصَّها؛ لأنَّها أساسُ استمرارِ الحياة.

فائدةُ وصفِ ﴿ٱلنَّفْسَ﴾ باسمِ الموصولِ:

التَّجدُّدُ والحدوثُ بالفعلِ الماضي الواقعِ في جملةِ الصِّلةِ

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قيِّدت ﴿ٱلنَّفْسَ﴾ بالصِّفة، فقالَ تعالى: ﴿ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾، ولعلَّ هذا للتَّنبيهِ إلى أنَّه قد سبقَ العهدُ في تحريمه[2]، وليفيدَ التَّجدُّد والحدوث بالفعل الماضي الواقعِ في جملةِ الصِّلةِ، فيعرفوا نعمةً في حفظِ دمائِهم، وليصحَّ الاستثناءُ بقوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، ولو قال: (ولا تقتلوا النَّفسَ المحرَّمة) لفسدَ المعنى.

(1) الخازن، لباب التأويل: 2/172.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/688.

بلاغةُ الإيجازِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾:

تضمينُ المعاني في ألفاظٍ أقلَّ منها من غيرِ حذفٍ

في قوله: ﴿ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ إيجازٌ بحذفِ المفعولِ به (قتلَها)؛ لإثارةِ الذِّهنِ والتَّنبيه، وفي هذه البلاغة تضمينُ المعنى الكثير في اللَّفظ القليل، فبدلًا من أن يقول تعالى: (الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا)، أو (الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ دِمَاءَهَا)، قال: ﴿ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾، فأوجزَ في العبارةِ، وأفصح في المعنى، وأشارَ إلى حرمةِ النَّفسِ بحرمةِ ما فيها من الدَّمِ والرُّوحِ والعقلِ وغيرها من المقدَّرات، وهذا من بديعِ الإيجازِ الذي يكون بتضمينِ المعاني في ألفاظٍ أقلَّ منها من غيرِ حذفٍ.

سرُّ التَّعبيرِ باسمِ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾:

التَّرهيبُ والرَّدعُ والزَّجرُ لكلِّ من يفكِّرُ في جريمةِ القَتلِ

في قوله: ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ إسنادُ التَّحريمِ إلى لفظ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه ترهيبٌ وردعٌ وزَجرٌ لكلِّ من يفكِّرُ في جريمة القَتل.

معنى قولِهِ: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ودلالته:

إظهارُ السَّببيَّةِ وكمالِ الحقِّ في القتلِ

قيَّدت الجملةُ بقولِهِ تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، وهو استثناءٌ مُفرَّغٌ من أعمِّ الأحوالِ، أي: لا تقتلوها في حالٍ من الأحوالِ إلَّا حالَ ملابستِكم بالحقِّ[1]، وقد يكونُ من أعمِّ الأسبابِ، أي: لا تقتلوها بسببٍ مِنَ الأسبابِ إلَّا بسببِ الحقِّ[2]، والباءُ هنا سببيَّةٌ.

وتعريفُ (الحقِّ) أفادَ كمالَهُ، أي: إلَّا بالحقِّ الكاملِ، ولا يكون كاملًا إلَّا إذا كان كالشَّمس وضوحًا لا شُبهةَ فيه[3]، و(لا تقتلوا إلَّا بالحقِّ): طباقُ سلبٍ، يبرز المعنى ويقوِّيه بالتَّضادِ.

دلالةُ تكرارِ النَّهي عن قتلِ الولدِ:

بيانُ عظمِ الجرمِ المرتكَبِ في حقِّهم

يُلحظُ أنَّه نُهي عن قتلِ الولدِ في الآيةِ ثلاثَ مرَّاتٍ: الأولى: عندما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾، والثَّانية: في

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/199.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/199.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/318.

قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، والأخيرةَ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[1]؛ ولعلَّ ذلك لعظم الجرم المرتكَب في حقِّهم، وفي الحديثِ الصَّحيحِ عن ابنِ مسعودٍ قالَ: سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ: "أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قلت: ثمَّ أَيٌّ؟ قال: «وأن تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»". الحديث[2].

فائدةُ الإجمال في قولِه: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

بيانُ تأصُّلِ الوصيَّةِ في رِفقٍ وتلطُّفٍ

جيءَ بالجملةِ الكريمةِ لإجمالِ ما مضى من المحرَّمات، والتَّعبير يُوحي بالإلزام، وقد جاءت ﴿وَصَّىٰكُم﴾ لبيان تأصُّلِ هذا الأمر في رِفقٍ وتلطُّفٍ.

فائدةُ (لعلّ) في قولِه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

الرَّجاءُ والاستفهامُ والتَّحذيرُ

استخدامُ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أفادَ الرَّجاء، والاستفهامَ والتَّحذير؛ فاستعمالُ هذا الحرفِ يُثيرُ انتباهَ المخاطَبين، وتنبيهَهم على ضرورة التَّفكُّر والتدبُّر في آياته وحكمته، وكأنَّه يقول: ألا تعقلون؟ أو ما يمنعكم مِنَ التَّعقُّل؟ وهذا من بديع الإقناعِ والإرشاد الذي يتميَّز بهِ كلام الله ﷻ، وأنَّ بابَ الاهتداءِ مفتوحٌ لمن يستخدم عقلَهُ.

بلاغةُ الفصلِ في جملةِ: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾:

ارتكابُ هذه المحرَّماتِ تنزِّلُ صاحبَها منزلةَ مَنْ لا يعقلُ

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾، الجملةُ استئنافٌ جيءَ به تجديدًا للعهدِ، وتأكيدًا لوجوبِ المحافظةِ على ما كلِّفوا بهِ[3]، و﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ختامٌ رائعٌ يُؤكِّد أن ارتكاب هذه المحرَّماتِ يُنزل صاحبهُ منزلةَ مَن لا يعقلُ، فرُجِيَ أن يعقلوا.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/318.
(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: (4477).
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/199.

دلالةُ اسمِ الإشارةِ المفردِ البعيدِ، وخطابِ الجمعِ في: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾:

الإشـــارةُ إلى المفردِ لمراعاةِ لفظِ (المجموع)

(ذا) اسم إشارةٍ للمفردِ المذكَّر، واللَّام لِلبُعْدِ، والكاف للخطابِ والميم للجمْعِ؛ وأشير بالمفرد وإن كان المشارُ إليه متعدِّدًا، لمراعاة لفظ (المجموع)، ولو روعي المعنى؛ لقالَ: (أولئكم)، وإيثارُ مراعاة اللَّفظ المفردِ تتناسبُ مع الوصيَّة الجامعةِ، حتى تُؤخذَ كلُّها وكأنَّها لفظٌ واحدٌ، لا يتجزَّأُ، ولا يتفكَّك؛ ولحاقُ لام البعدِ لبُعدِ منزلتها، فـ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الإشارةُ إلى المذكور من النَّهي عن الشِّرك والأمر بالإحسانِ إلى الوالدين، والنَّهي عن قربِ الفواحشِ، وهو نهيٌ عن المقاربة لَا عن الوقوع؛ لأنَّه نهيٌ عن أن يدنو منها، فمن حامَ حول الحمى أوشكَ أن يقع فيه، والنَّهيُ عن القربِ يدلُّ على النَّهي عن الوقوع، والإشارةُ تشملُ النَّهي عن قتلِ النَّفس؛ فهذا كلُّه من وصايا اللهِ ﷻ، ووصايا اللهِ تعالى جديرةٌ بالاتِّباع؛ وجُعِلَ الخطابُ في الإشارةِ بـ (ميم الجمع) لعمومِ التَّوصيةِ بهذهِ الأمورِ الَّتي أشارَ إليها، وليتَّسقَ القولُ مع ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾[1].

التَّعبيرُ بالماضي ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ وخطابُ الجمع:

بيـانُ عظيـمِ أهـمِّيَّتـهـا، ورحـمـةُ المـوصِي بها

مِن سماتِ التَّعبيرِ القرآنيِّ في الآية الدِّقَّةُ في اختيارِ الكلمة القرآنيَّةِ، يجدها القارئُ في اختيارِ كلمة ﴿وَصَّىٰكُم﴾ بالإضافةِ إلى مناسبتِها للمقام، وذلك أنَّه لما كانت تلك الأشياءُ شديدةً على النَّفس ختمَها بـ﴿وَصَّىٰكُم﴾[2]، ولعلَّ السِّرَّ لما فيها من لطفٍ، ورأفةٍ، ولينٍ يلامسُ شَغافَ القلبِ، فيفتحُ لها بابَ القبول والاستجابةِ، كما أنَّ في جعلِهم أوصياءَ للّه تعالى ما لا يخفى من الإحسان[3].

والتَّعبيرُ بصيغةِ الماضي للإيذانِ بتحقُّقِهِ، وتقرُّره، وللإيماءِ إلى

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2735.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/318.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 4/688.

استدعاء كلِّ وصيَّةٍ ممَّا سبقَ لتدبُّرها والعملِ بها؛ لأنَّها إنْ فاتت؛ فليس لها ثمَّةَ عِوضٌ.

نكتةُ تقييدِ الفاصلةِ بـ(لَعَلَّ):

إفـادةُ الترجّـي؛ فـالسَّـلامـةُ من الموبقات لا تتمُّ إلَّا بتوفيقٍ من الله تعالى

أتتْ فاصلةُ الآيةِ مقيَّدةً بـ(لعلَّ) ترجِّيًا للتَّعقُّل، فقال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ويعلِّل هذا ابنُ الزبير الغرناطيُّ بما مضمونهُ: أنَّه لما كانت تلك الأشياءُ؛ وهي الشِّركُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ الأولاد لأجل الفَقر، وارتكابُ الفواحش، وقتلُ النَّفس الَّتي حرَّم الله بغير الحقِّ، لما كانت خمسَتُها ذاتَ قبحٍ ظاهر لا يخفى، قيِّدَت بترجِّي التَّعقُّل؛ لأنَّ السَّلامة منها لا تكون - مع وضوحِ أمرها - إلَّا بتوفيقٍ من الله تعالى[1].

وقد تكون (لعلّ) هنا للتوقُّع، وذلك لما فيها من توثيقٍ وتأكيدٍ أنَّ تلك الوصايا من الرَّحمنِ الرَّحيمِ الَّذي هو أرحمُ بخلقهِ منهم على أنفسهم - فكان من المتوقَّع بعد هذا أن يعقلوها، ويلتزموا بها؛ "إذ إنَّ العقلَ لو خُلِّي ليبحثَ هذه الوصايا الأولى بحثًا مستقلًّا عن منهج السَّماء؛ لوجد أنَّ ضرورةَ العيشِ على الأرضِ تتطلَّبُ وجودَ هذه الأشياءِ"[2].

تحليلُ الفاصلةِ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

الإشـــارةُ إلى الأمـورِ المتعدِّدةِ والمهمَّةِ الَّتي يُرادُ توكيدُها

جاءتِ الفاصلةُ هنا جملةً اسميَّةً، واسمُ الإشارة (ذلك) راجعٌ إلى مجموع ما ذُكِر في الآية، وجاء مُفردًا باعتبارِ المذكورِ، أي: ذلك المذكورُ وصَّاكم به، و﴿ذَٰلِكُمْ﴾: بدلًا من ذلك؛ لأنَّ (ذلكم): تُستعملُ للأمورِ المتعدِّدةِ، والمهمَّة التي يُراد التَّوكيدُ عليها، وهي في محلِّ رفعٍ مُبتدأٌ، خبرهُ جملة ﴿وَصَّىٰكُم﴾، وجملة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ جملةٌ رجائيَّةٌ، أي: أن يعقلوا، فيصيروا ذوي عقولٍ.

(1) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 1/173.
(2) الشعراوي، خواطر الشعراوي: 5/3991.

بلاغةُ التَّذييلِ هنا، وسرُّ اختلافِهِ عن لواحقِهِ:

التَّطريزُ في نظمٍ دقيقٍ للآياتِ الكريماتِ يحتويها

قولُهُ: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ تذييلٌ جُعِلَ نهايةً للآيةِ، فأومَأَ إلى تنهيةِ نوعٍ من المحرَّماتِ؛ وهي المحرَّماتُ الرَّاجعُ تحريمُها إلى إصلاحِ الحالةِ الاجتماعيَّةِ للأمَّةِ، بإصلاحِ الاعتقادِ، وحفظِ نظامِ العائلةِ والانكفافِ عن المفاسدِ، وحفظِ النَّوعِ بتركِ التَّقاتلِ[1].

وفي قولِهِ تعالى: ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾ ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾ ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [الأنعام: 152]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: 153]، ما يُشبِهُ فنَّ التَّطريز، فهذه الآيات الكريمات يحتويها نظمٌ دقيقٌ وكأنَّهُ عقدٌ فريد[2].

فائدةُ المضارعِ، وتقديمِ ضميرِ المخاطبينَ على ضميرِ الغائبينَ:

استمراريَّةُ الرِّزقِ والنَّهي عن القتلِ؛ وبدءٌ برزقِ المُخاطَبينَ؛ لأنَّه الأهَمُّ هاهنا

فائدةُ صيغةِ المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾ هي أنَّها تدلُّ على استمراريَّةِ الرِّزقِ والنَّهيِ عن القتلِ، وأنَّ اللهَ تعالى لا يزالُ يرزقُ الآباءَ والأبناءَ في كلِّ حينٍ وزمانٍ، ولا يقطعُ رزقَهُم بسببِ كثرتِهم أو قلَّتِهم، ولو كان الفعلُ ماضيًا؛ لدلَّ على حصولِ الرِّزقِ في زمنٍ ماضٍ فقط، ولم يشملِ الحاضرَ والمستقبلَ.

وجاءَ في سورةِ الإسراءِ تقديمُ ضميرِ الغائبين على ضميرِ المخاطبين في قوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرٗا ٣١﴾ [الإسراء: 31].

وفي قوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/162.

(2) التَّطريزُ عند البلاغيّين يأتي على عدّة معانٍ، وهو من البديع، ومن معانيه أن يبتدئ المتكلِّمُ أو الشّاعر بذكر جملٍ من الذّات غيرِ مُفَصَّلة، ثم يُخبر عنها بصفة واحدة من الصّفات مُكرَّرة، للاستزادة يُنظر: ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص: 314.

بدأ هنا ﷻ برِزْقِ الوالِدَين، وفي سورةِ الإسْراءِ بَدَأَ برِزْقِ الأَوْلادِ، والحكمةُ في ذلك أنَّه قال هنا: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾، فالإملاقُ حاصِلٌ، فبَدَأَ بذِكْرِ رِزْقِ الوَالِدَينِ اللَّذَينِ أَمْلَقَا، أي: ولا تَقتُلوهم مِن فَقْرِكم الحاصِلِ، ولهذا قال تعالى بعدَها: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، فبَدَأَ برِزقِ المُخاطَبينَ؛ لأنَّه الأهَمُّ هاهنا، والتقديم يعبِّرُ عن التَّوكيدِ والتحذير للآباءِ الملقين الذين كانوا يخافون من الفقرِ والضَّنْكِ بسبب كثرةِ الأولاد، فأولى بهم أن يطمئِنُّوا على رِزقِهم من ربهم قبل أن يشفقوا على رزق أولادهم، ولو كان التَّرتيب عكسيًّا لدلَّ على أنَّ الآباء مطمئنُّون برزقهم، ولكنَّهم يخشون على رزقِ أولادهم، وهذا لا يتَّفق مع حالِ المخاطبين في هذه الآية، وهناك قال: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: 31] أي: خشيةَ حُصُولِ فَقرٍ في الآجِلِ، فهما غَنِيَّانِ، لكن يَخْشَيَانِ الفَقْرَ، فبَدَأَ برِزْقِ الأَوْلادِ قبلَ رِزْقِ الوَالِدَين، للاهتمامِ بهم، أي: لا تَخافوا مِن فَقْرِكم بِسَبَبِهم، فرِزْقُهم على اللهِ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(تعالَوا) و(أقبِلوا):

(تعالَوا): بمعنى طلبِ الإقبالِ مطلقًا، و(أقبِلوا): يدلُّ على مواجهة الشَّيء للشَّيء

تعالَ: فعلُ أمرٍ، أصلهُ يُؤمرُ بهِ من يراد صعودهُ إلى مكانٍ مرتفعٍ فوق مكانهِ، ولعلَّ ذلك؛ لأنَّهم كانوا إذا نادَوا إلى أمرٍ مهمٍّ ارتقى المنادي على ربوةٍ ليسمع صوتَهُ، فأصلهُ فعلُ أمرٍ لا محالةَ من التَّعالي، وهو تكلُّفُ الاعتلاء، ثم نُقِلَ إلى طلبِ الإقبالِ مطلقًا[2].

أمَّا الإقبالُ؛ فيدلُّ على مواجهةِ الشَّيءِ للشَّيء[3]، وقد يكون بعد التَّدابرِ، مثل: كنَّا مدبرين، فأقبلنا؛ إذ يُقبِل النَّاس على بعضِهم؛ لأنَّ

(1) ابن كثير، تفسير ابن كثير: 3/362، والشنقيطي، أضواء البيان: 1/544، وأحمد أحمد البدوي، من بلاغة القرآن، ص: 94، وابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد: 1/37.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/157.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قبل).

لهم شأنًا مشتركًا يريدون مناقشتَهُ، قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: 27]، وقال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [القلم: 30]، حصل شيءٌ خطأً، واجتمعوا لمناقشتهِ وتصحيحه.

(التِّلاوة) و(القراءة):

التِّلاوة أخصُّ مِن القراءةِ، فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً

في الأصل: (تلا) تُستعمل للقراءة من مكتوبٍ بصوت، ويُتسامح فيها، فتكونُ من غير مكتوبٍ لكن بصوتٍ، و(قرأ) تُستعمل للقراءةِ من مكتوبٍ ومن غير مكتوبٍ، بصوتٍ وبغير صوتٍ؛ فإذا عُدِّيا بـ (على) فهُما بصوتٍ ولا بدَّ.

وقد أشارَ أبو هلالٍ إلى فرقٍ آخرَ، خلاصتُهُ أنَّ التِّلاوة تكون فيما يطولُ، أي: يكثر من الكلام؛ ووجودُ عنصرِ التَّلاحق أخذًا مِنَ الاتِّباع واللّحاق في استعمالاتِ التَّركيبِ يُتيح ذلك[1].

وقال الرَّاغبُ: إنَّ التِّلاوةَ أخصُّ من القراءةِ؛ لأنَّ التِّلاوةَ تختصُّ بما يُتْبع، وقال في هذا السِّياق: "فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً (فإنَّه) لا يُقال: تلوتُ رقعتَكَ، وإنَّما يقال في القرآنِ في شيءٍ؛ إذا قرأتَهُ وجبَ عليك اتِّباعه". وأنا أكادُ أقطع بأنَّ الأمرَ التبسَ على الإمامِ؛ فإنَّ الذي منع (تلوتُ رقعتك) هو أنَّ التِّلاوةَ لا تكون إلَّا بصوتٍ، والرُّقعة المرسَلةُ من شخصٍ إلى شخصٍ خاصَّةً ليس الشَّأنُ فيها أن تُقرأَ علنًا، فهذا هو الذي منعَ، لا أنَّ الرقعةَ ليست ممَّا يُتبعُ[2].

(الفقر) و(الإملاق):

(الفقرُ): ما مسَّت الحاجةُ إليه، و(الإملاق): أسوأ حالًا منه لما فيه من الخضوع والتَّضرُّع

الفرقُ بينهما أنَّ الثَّانيَ سببٌ في الأوَّلِ ومسبَّبٌ عنه؛ فالفقرُ: لفظٌ عامٌّ يُطلق على ما مسَّت الحاجةُ إليه، بل هو كلُّ ما يحتاجُ إليه الإنسان ليُصلحَ حياتَهُ الدنيويَّةَ؛ وصِفته (الفقير) - بصيغة فعيل -

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 140.
(2) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (تلى - تلو).

في معنى الثُّبوتِ والدَّوام؛ فالفقرُ في أصلِ الوضعِ اللُّغويِّ إطلاقٌ عامٌّ على عدم الحاجة الضَّروريَّة.

والإملاقُ: الإنفاقُ وامتلاكُ الحاجة، ويُطلق على حالةٍ من الإنفاق والإسرافِ فيه بحيثُ تؤدِّي الحالةُ إلى فَناءِ المالِ وزواله؛ وذهابُهُ يؤولُ بصاحبهِ إلى العَوَز والحاجة؛ والعَوَزُ والحاجةُ يترتَّبُ عليها حالة الفَقر[1].

(الفواحش) و(الكبائر):

(الفواحش): كلُّ معصية يُتَجرَأ فيها على الله، والكبائرُ أخص منها

الكبائرُ هي التي رتَّبَ اللّهُ تعالى عليها عقوبةً دنيويَّةً كالحدود والكفَّارات، أو رتَّبَ عليها لعنًا، أو رتَّبَ عليها عذابًا أُخرَويًّا؛ هذا هو ضابطُ كبائرِ الإثم.

وأمَّا الفواحشُ؛ فهي الَّتي تقتضي من صاحِبها رقَّةَ وازعِهِ، وجراءتَهُ على اللهِ ﷻ؛ فالَّذي يتجرَّأُ على الله ﷻ بصغيرةٍ، فإنَّ ذلك يُصيِّرها فاحشةً؛ لأنَّه إذا لم تسُؤْهُ سيِّئتهُ فهو ناقصُ الإيمانِ؛ وحالُ المُؤمِنِ مع ذُنوبِه كرجلٍ قاعدٍ تحْتَ جبَلٍ يَخافُ أنْ يَقَعَ عليه؛ ومَن وقَعَ عليه الجبلُ فلا يُظَنُّ له نَجاةٌ، فالمُؤمِنُ ينظُرُ إلى عَظَمةِ اللهِ ﷻ، وجَلالِه، وعِزِّ سُلطانِه، وغِناهُ عن خَلْقِه، وفَقْرِ خَلْقِهِ إليه، وأنَّ يَسيرَ المعصيةِ له ﷻ ليس بيسيرٍ عند المُؤمِنِ؛ فلذلك يرى كأنَّه قاعدٌ تحت جَبَلٍ مِن خَوفِ ما أتى.

وأمَّا الفاجرُ - وهو الفاسِقُ المُستهترُ - فينظُرُ إلى ذنوبِهِ باستخفافٍ، حتى إنَّه يرى الفواحشَ والذُّنوبَ سَهلةً يسيرةً، فكأنَّها ذُبابٌ مرَّ على أنْفِه، فأشار بيَدِه، فذَهَب الذُّبابُ ولم يُؤثِّرْ فيه، لا لخِفَّةِ ذُنوبِه، ولكِنْ لخِفَّةِ إيمانِه باللّهِ سُبحانَه، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ المُؤمِنَ يَرى ذُنُوبَهُ كَأنَّهُ قاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخافُ

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (ملق)، ونهاد العاني، النّص اللّغوي بين السبب والمسبّب، ص: 104، و105.

أنْ يَقَعَ عليه، وإنَّ الفاجِرَ يَرى ذُنُوبَهُ كَذُبابٍ مَرَّ على أنْفِهِ، فقالَ به هَكَذا»[1].

(الوصيَّة) و(النَّصيحة) و(الإنذار):

قال الطِّيبِيُّ رحمه الله: النصيحةُ والوصيَّةُ متقاربان، والأقربُ أنَّ بينهما فرقًا؛ فإنَّ النَّصيحةَ هي إرادةُ الخيرِ للمنصوح له، فيُرادُ بها حقوقُ العبادِ؛ وبالوصيةِ متابعةُ الأمر والنَّهي من حقوقِ الله تعالى[2]، أمَّا الإنذارُ؛ فكلمةٌ تدلُّ على تخويفٍ أو تخوُّفٍ، ومعناه: الإبلاغُ، ولا يكاد يكونُ إلَّا في التَّخويفِ[3]، وهو فرعٌ عن النَّصيحةِ مُستَقِلًّا.

(الوصية): متابعةُ الأمر والنَّهي، و(النَّصيحةُ): إرادةُ الخيرِ للمنصوح، ومنها الإنذارُ مع التَّخويف

(1) البخاري، الجامع الصحيح، الحديث رقم: (6308).
(2) الطّيبي، فتوح الغيب: 11/67.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»